



# صندوق نعمة ربنا

تأليف : يعقوب الشاروني  
رسوم : أحمد أمين



٢٠٠٢ / ١١٤١٤	رقم الإيداع
ISBN 977 - 02- 6331 - 1	الترقيم الدولي

٧/٢٠٠٢/٢٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)



تصميم الغلاف: محمد أبو طالب

الناشر دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة: ج.م.ع

دخل الصبي مكتب مديرة المدرسة يصرخ. وقفزت المديرية مندفعة ناحيته، وقد رأته الدم الأحمر بغمر رأس التلميذ الصغير ووجه وكل ملابسه.

صاحت المديرية فى جزع شديد: هل وقعت؟! .. أين الطبيب؟.. أسرعوا اطلبوا الإسعاف!!

وفى نفس اللحظة، شاهدت المديرية أبله بدرية مدرسة التربية الرياضية، تدخل وهى تجذب خلفها صبياً فى العاشرة من عمره، وقد قبضت على ذارعه بقوة، وهو يحاول أن يتملص منها! وعادت المديرية تصيح، وهى تشير إلى ذلك الصبي الأكبر: هل أنت أيضاً الذى فعلت هذا يا عاصم؟ ثم أضافت: طبعاً!! من غيرك!!

واندفعت أبله بدرية تقول للمديرة: تصورى يا أبله سميحة.. عاصم يمسك علبة الصلصة ويصحبها كلها على رأس زملائه الصغار وملابسهم!!

\*\*\*

تجمدت ملامح وجه المديرية من المفاجأة، ثم أشارت بيدها إلى اللون الأحمر على وجه وملابس الصبي

الصغير، وقالت فى دهشة بالغة: صلصة!! وما الذى جاء بالصلصة إلى المدرسة؟

ثم التفتت إلى عاصم تسأله فى عنف:

هل سبق أن رأيت تلميذا فى المدرسة يحضر معه علبة صلصة!؟.

وفى براءة قال عاصم: بالأمس كنا نقرأ فى المكتبة قصة الأميرة والأقزام السبعة.

صاحت المديرية: لا تحاول أن تخطط الأمور.. ما علاقة الأميرة بالصلصة!؟

قال عاصم: الصياد أشفق على الأميرة، وتركها فى الغابة. ثم ضحك على عقل الملكة

وأقنعها أنه قضى على الأميرة، عندما لوث جزءاً من ملابس الأميرة بدم غزالة اصطادها.

هنا تنبهت المديرية أن الصبى الصغير الملوث بالصلصة مازال يقف فى غرفتها، فقالت

لأبلة بدرية: حاولوا تنظيف هذا الصبى، وسأعرف كيف أعاقت هذا المشاغب حتى يتوقف

الصداع الذى يسببه لنا كل يوم.



وانصرفت أبلة بدرية بالصبي الصغير وهي تتمتم في غضب: طلبنا من المديرية أكثر من مرة أن تفصل عاصم، هذا التلميذ الفظيع، فلم توافق على ذلك حتى الآن!!

\*\*\*

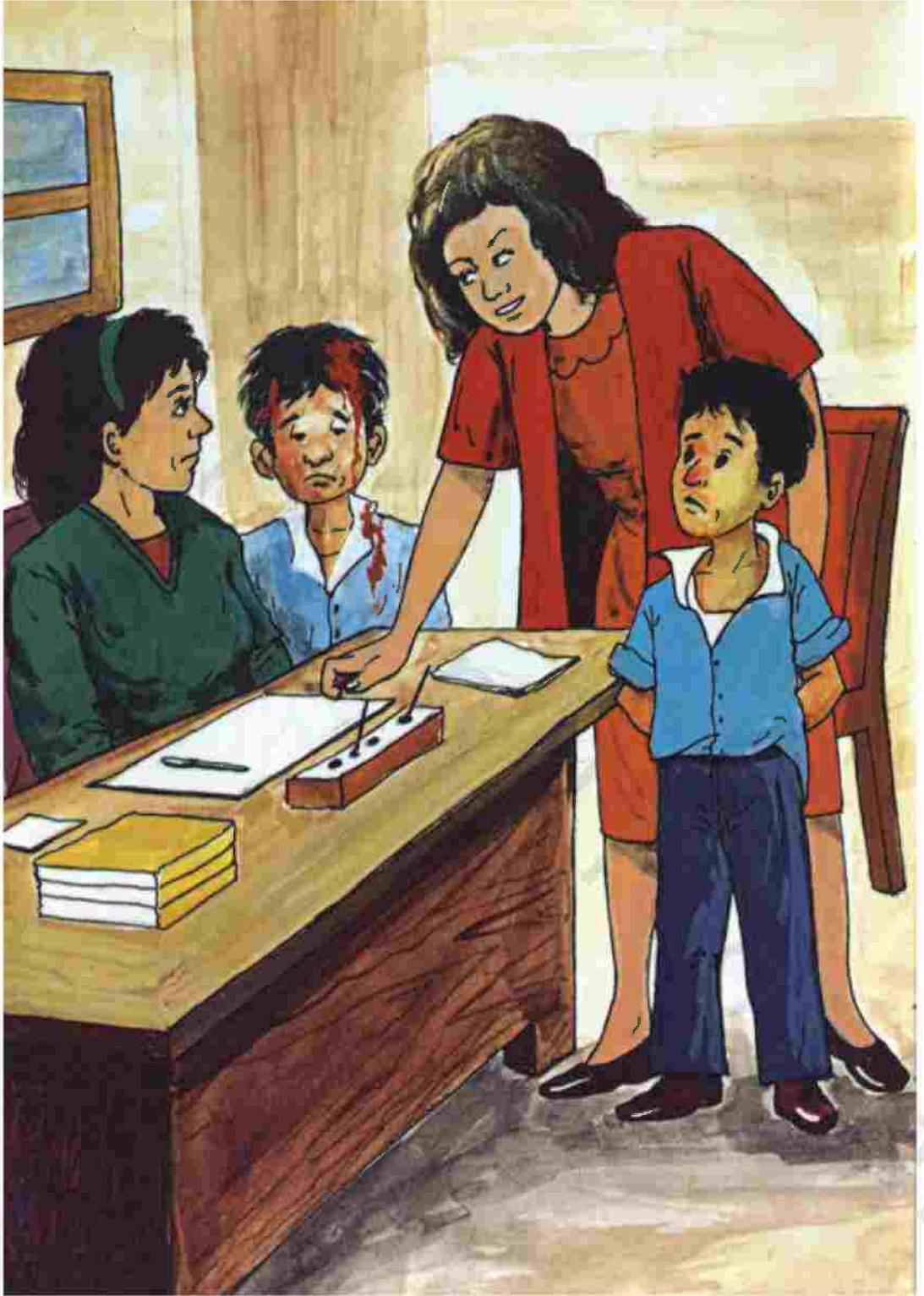
وقبل أن تضيف المديرية كلمة أخرى، كان عاصم يقول: كنا سنقوم اليوم بتمثيل قصة الأميرة والأقزام، وأردت أن أمثل دور الصياد ومعه قطعة ملابس الأميرة التي صبغها الدم، ولم أجد أفضل من الصلصة للقيام بهذا الدور!!

وفوجئت المديرية بهذه الإجابة، وهي تتذكر الحوادث اليومية التي يرتكبها عاصم، وتظل المدرسة تتحدث عنها أيامًا بل أسابيع.

\*\*\*

فمنذ يومين دخل مدرس الحساب وهو يجذب خلفه "عاصم" ويقول صارخًا: ماذا أفعل مع هذا الشيطان؟! ضاعت معظم الحصة بسببه.

وعندما سألته المديرية عما حدث، قال: عندما بدأت حصة الحساب بعد الفسحة، طلبت من التلاميذ أن



يخرجوا من حقائبهم كراسيات واجب الحساب. وفوجئ كل تلميذ أن الكراسى الذى فى حقيبته، وهو كراس زميل آخر، وضاعت الحصة كلها، إلى أن استعاد كل تلميذ كراسته الخاصة به.

قالت المديرية فى دهشة: وكيف حدثت أن انتقلت الكراسيات من حقائب أصحابها؟

عاد المدرس يصيح، وهو يجذب أذن عاصم بقوة: الكراسيات ليس لها أرجل تنتقل بها من حقيبة إلى أخرى، لكن "عاصم" استغل وقت الفسيحة، فنقل الكراسيات!!.

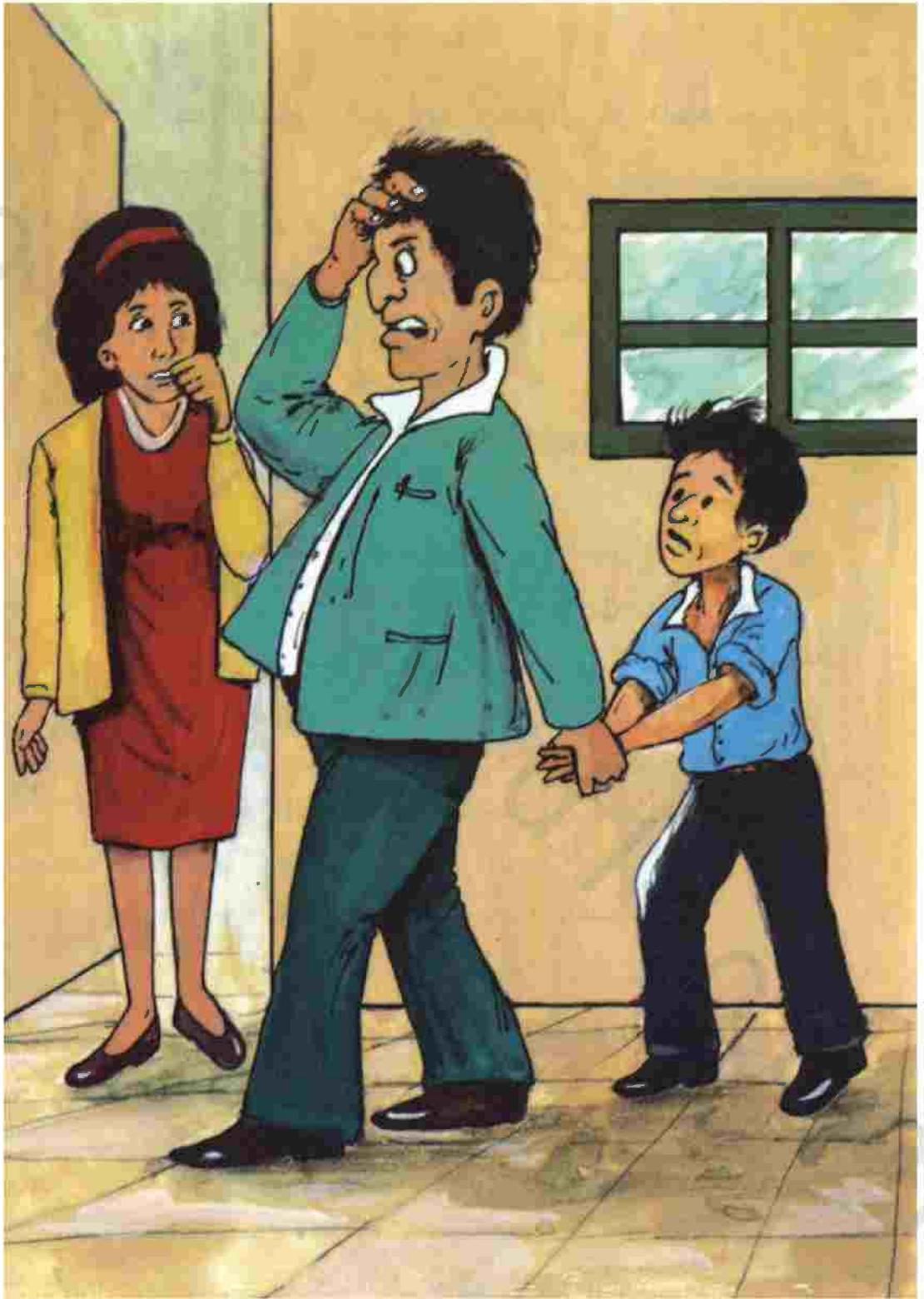
ازدادت دهشة المديرية وغضبها، وهى تسأل "عاصم": هل فعلت هذا حقاً يا عاصم؟

قال عاصم: كنت أقوم بتجربة جديدة!!

هنا صاح المدرس: تجربة جديدة معى أنا، وأنت لم تخرج بعد من البيضة؟!

قال عاصم: حضرتك رفضت أن تسمع بقية ما أقول.

هنا سألت المديرية "عاصم" فى حدة: وهل عندك شئ آخر تقوله؟!



قال عاصم: كنت أريد أن يتولى كل تلميذ تصحيح كراسة زميله!

وفى دهشة قالت المديرية فى تأكيد: لكن أساتذة الحساب يقومون هم بتصحيح كراساتكم!!

عندئذ سكت عاصم، واكتفى بأن وجه نظرة فيها اتهام إلى مدرس الحساب!

وفى نفس الوقت، سكت مدرس الحساب، فلم يقل شيئاً.

ونقلت المديرية بصرها بين التلميذ ومدرسه، ثم سألت: ما هى الحكاية بالضبط؟!

أخبرونى.

هنا عاد المدرس يصيح، (لكى لا يعطى فرصة لعاصم ليشرح كيف يترك المدرس

الكراسات عدة أسابيع غير تصحيح): كيف يفهم هؤلاء الصغار الصواب من الخطأ، لكى يقوموا

هم بتصحيح كراساتهم بأنفسهم؟! أنا لن أستطيع العمل بعد اليوم فى هذا الفصل إذا ظل به هذا

التلميذ المشاغب!!

\*\*\*

أما مدرس اللغة العربية، فقد جاء يدفع التلميذ "عاصم" أمامه، وقد أمسك بيده كراسة

الواجب المنزلى، وهو يقول:



تصورى يا حضرة المديرية... أكلفه مع بقية التلاميذ بكتابة درس المطالعة عشر مرات، فيكتبه مرة واحدة، والباقي تم تصويره بورق الكربون!!

وصاحت المديرية في عاصم: لماذا لم تكتب الواجب؟

قال عاصم في إصرارٍ: لقد كتبتّه!

قالت المديرية: لقد كتبتّه مرة واحدة وليس عشر مرات!

قال عاصم في تأكيد: لقد كتبتّه عشر مرات!

ثم أضاف شيئاً أزعج المديرية جداً.. لقد قال: هل حضرتك لديك صبر، لتكررى كتابة

شئ تعرفينه جيداً، عشر مرات!؟

هناك لم تتمالك المديرية نفسها، فصفعتّه على وجهه، وأمرت سكرتير المدرسة أن يسلمه

خطاباً بمنعه من دخول المدرسة، إلا إذا كان بصحبته ولى أمره.

\*\*\*

وعندما جاءت والدة عاصم، بدأت الحديث قبل أن تقول لها المديرية أى شئ.

اندفعت الأم تقول: لقد تعبت من هذا الولد..طوال النهار أصرخ فيه، وأشد شعري لما يسببه لى من غيط.. كنت أتوقع أن تغير المدرسة من عاصم، لكن ها أنتم تشكونه لى كل يوم، وأضطر إلى ترك عملى والحضور لأسمع شكواكم منه!!

قالت الأميرة للأم:

فى أثناء الفسحة، إذا رأيت أية مجموعة من التلاميذ يتعاركون، فلا بد أن يكون عاصم فى وسطهم. وإذا ارتفع صراخ هنا أو هناك، أعرف فى الحال أن "عاصم" هو المتسبب فيه.

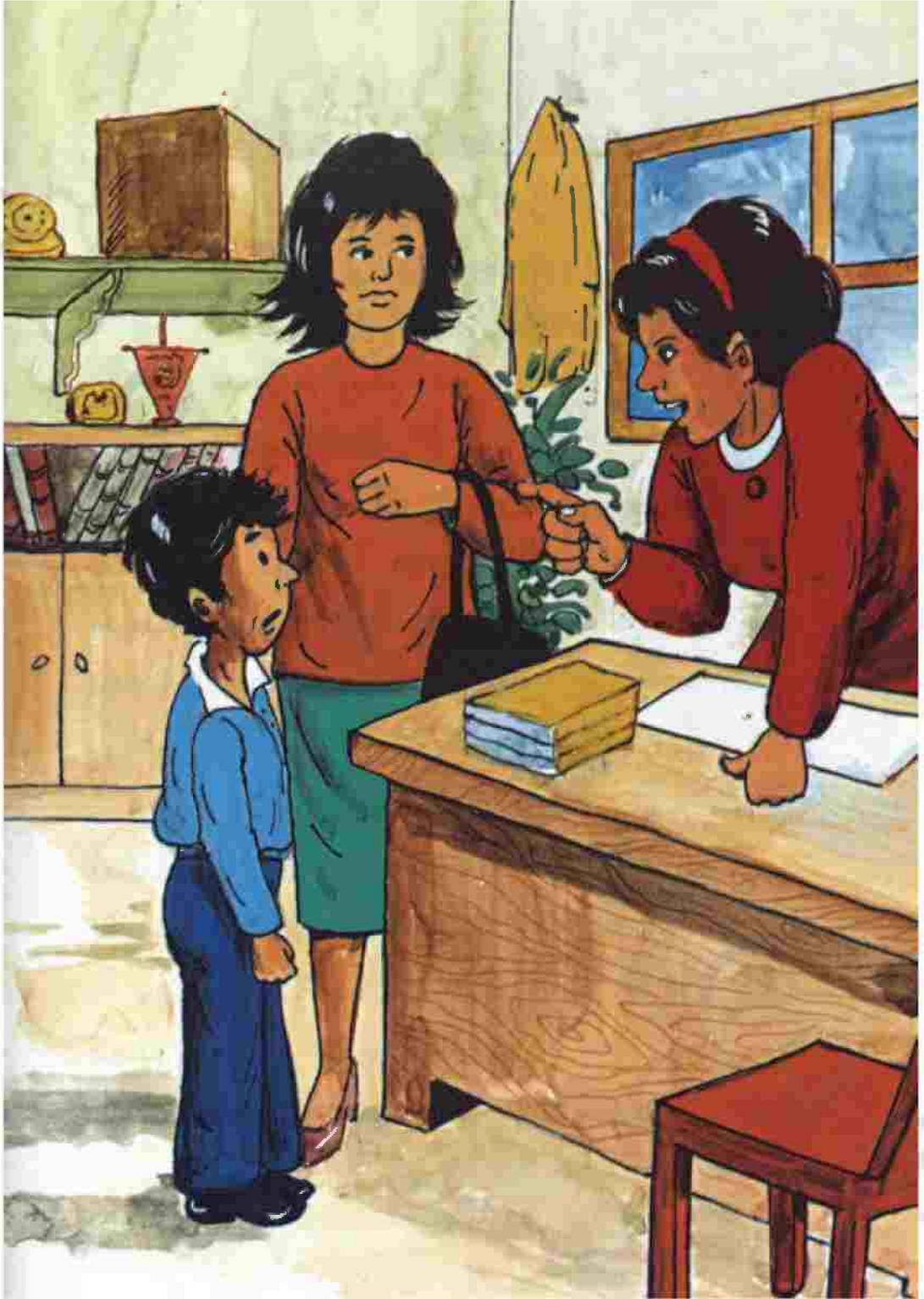
ليس هناك مدرس واحد إلا ويشكو من عاصم.

وقد لجأت إلى عقابه فى غرفتى، ثم اضطررت أن أعاقبه علنا أمام تلاميذ المدرسة كلها أثناء الطابور. لكن سلوكه لم يتغير.

وإذا لم يغير ابنك من تصرفاته، سأضطر إلى فصله نهائياً من المدرسة.

هنا التفتت الأم إلى ابنها، وصاحت فيه:

هل تسمع يا سبب المشاكل؟..



سيطردونك من المدرسة.. ستصبح إنساناً لا قيمة له!  
ثم التفتت إلى المديرية وأضافت:  
نعطيه فرصة أخرى، بل امنحني أباه وأمه فرصة أخرى.

\*\*\*

وجلست أبله سميحة مديرة المدرسة في غرفتها تحدث نفسها في هدوء. كانت تقول:  
اشتغلت بالتدريس للأطفال وصغار التلاميذ، ثم أصبحت مديرة لهذه المدرسة. وقد  
انقضى على عملي بالتعليم ثلاثون سنة، لم أتسبب خلالها مرة واحدة في فصل تلميذ من  
تلاميذي فصلاً نهائياً من المدرسة.

لكنني الآن أمام حالة لا أجد لها أي حل.

كيف، بعد هذا العمر الطويل، وبعد هذه الخبرة المتميزة، أجد نفسي عاجزة عن التعامل  
مع صبي صغير عمره عشر سنوات؟

إن هذا التلميذ ليس غيبياً ولا كسولاً، بل هو أقرب إلى الأذكاء! لكن أي ذكاء هذا الذي  
يستخدمه دائماً

فى الشر؁ وفى خلق المشكلا؁ وإبذاء الآخرى؁ وإثارة غىظ المرسلن وغببهم؁ مع مضابقاته المسآمرة لمن هم أصغر منه سنًا؟

إنه لا ىخشى العقاب؁ بل أشعر أآبائًا أنه ىسخر منا ونحن نعاقبه.

\*\*\*

وفى تلك اللحظة؁ وقعت عىنا المآورة على صندوق من الكرتون آآفظ به فى غرفتها؁ كانت تضع فىه الأشياء الضائعة من التلامىذ؁ إلى أن ىسأل عنها أصحابها؁ فتعآبها إلبهم. ونظرت من نافذة غرفتها؁ تراقب الفناء وقد اآملأ بالتلامىذ أثناء "فسآة" الساعة العاشرة صباآًا.

وفجأة خطرت لها فكرة؁ فضغطت على زر الجرس المجاور لها.

وعنآما دخلت "آاآة زىنب" سألتها:

أجابآ آاآة زىنب: "ومن لا ىعرف سبب كل المشاكل!".



قالت لها المديرية: "ذهبي، وابحثي عنه في الفناء، وأحضريه لي".

سألت دادة زينب في فضول: "ومن الذي اشتكى منه هذه المرة؟".

قالت لها المديرية في حزم: "قلت لك اذهبي، وتعالى وهو معك".

وخرجت دادة زينب، ووقفت فوق درجات السلم التي تواجه الفناء، وتطلعت هنا وهناك، إلى أن وقعت عيناها على معركة تدول في أحد جوانب الفناء. وفي ضوء خبرتها السابقة، نزلت السلم، واتجهت ناحية المتعاركين.

وكما توقعت، وجدت "عاصم" في وسطهم.

وفي حدة نادته دادة زينب قائلة:

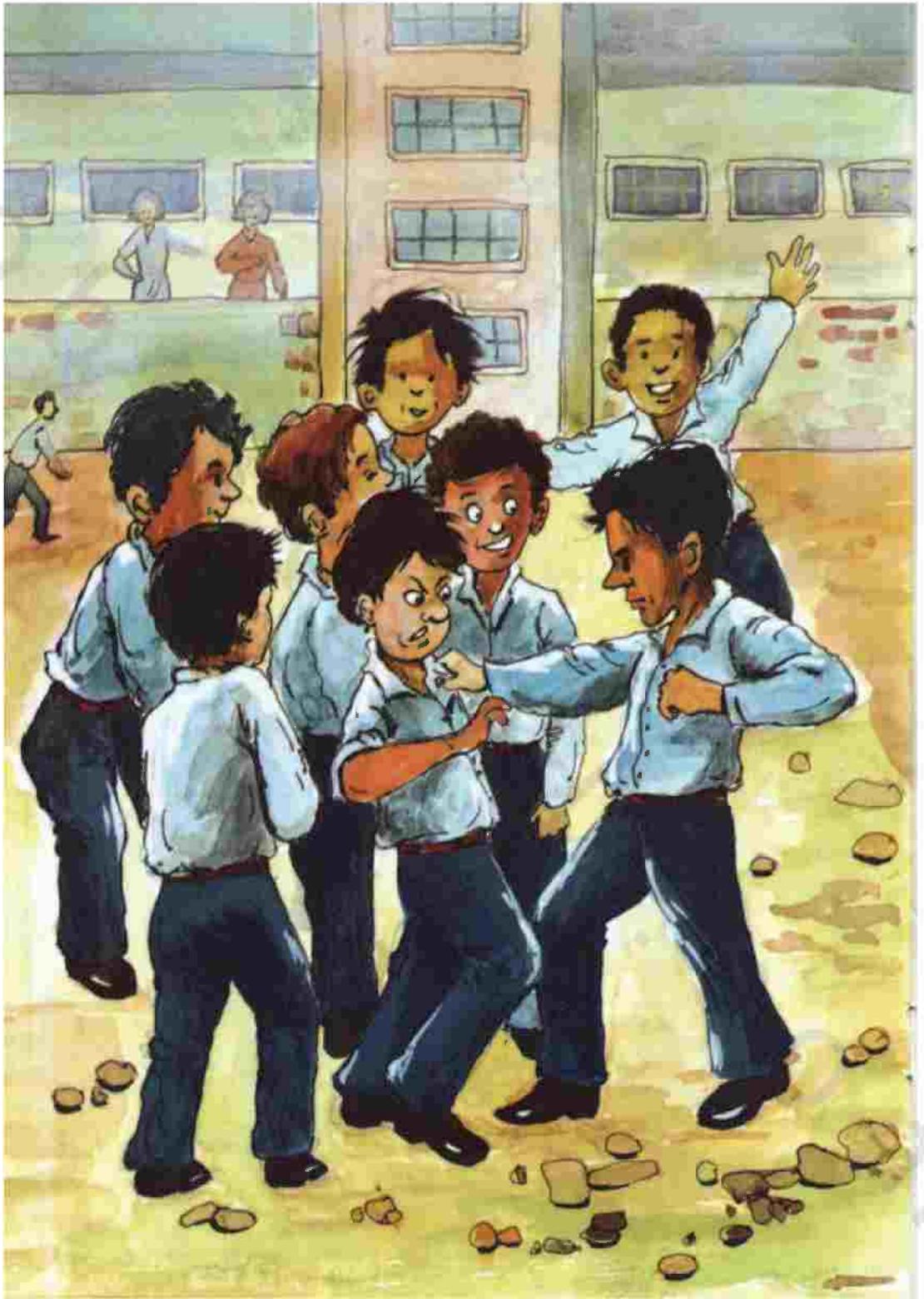
"عاصم.. تعال..... المديرية تطلبك".

وفي الحال توقفت المعركة، والتف كل المشاركون فيها حول عاصم.

صاح عاصم في احتجاج.

نحن نلعب، وما اشتكى منا أحد!

قالت دادة زينب، وهي تمسك ذراع عاصم بقوة:



المديرة تريدك الآن .. هيا معى .

ولم تهتم دادة زينب باحتجاجات عاصم، كان يقول:

هل كلما حدث شئ فى المدرسة، لا يجنون إلا "عاصم" ليتهموه؟! أنا أعب مثل بقية التلاميذ!!.. لماذا

لا تتحملون لعبى أنا فقط؟!!

لكن دادة زينب جعلت أذنا من طين وأذنا من عجين، وواصلت جذب عاصم بحزم

وإصرار إلى غرفة المديرية.

وعندما اجتاز عاصم باب الغرفة، أسرع يقول: أنا لم ارتكب خطأ!!

لقد كان عاصم يعرف أنه لا يدخل إلى غرفة المديرية، إلا ليتلقى عقاباً قاسياً بعد أن

يسمع كلاماً أقسى، مع تفاصيل الشكاوى المقدمة ضده.

لكن "عاصم" فوجئ هذه المرة بالمديرة تقول له:

ليس هناك أية شكاوى ضدك اليوم.

وكانت دهشة عاصم أشد من دهشة دادة زينب عند سماعها هذه العبارة من المديرية!

هنا التفت المديرية إلى زينب وقالت:

اخرجى يا دادة، وأغلقى الباب خلفك.



وخرجت زينب، وعاصم يصيح مرة أخرى:

أنا لم أفعل أى شئ اليوم!!

قالت المديرية فى صوت هادئ:

وأنا لم أطلبك اليوم لأنك فعلت أى شئ غلط.

وكانت لهجة المديرية غريبة بالنسبة لما اعتاد عاصم أن يسمعه منها، فلم يجب بشئ،

وانتظر ليسمع باقى كلامها.

قالت المديرية:

أنت ترى التلاميذ الصغار يأكلون ما معهم من "ساندوتشات" أثناء الفسحة.

قال عاصم:

عدد كبير منهم يفعلون ذلك، لكننى لا أخطف طعام أحد!!

أنا لم أتهمك أنك فعلت أى شئ خطأ.. استمع إلى بقية كلامى.

وانتظر عاصم ليسمع

قالت المديرية:

أنت تعرف أن الخبز هو "نعمة ربنا" وهؤلاء الطفل الصغار لا يعرفون قيمة هذه النعمة.

وفى سرعة أجاب عاصم:

الصغار لا يعرفون قيمة أشياء كثيرة!

وتوقفت المديرية، وقد أدهشتها صياغة العبارة التى قالها عاصم، ثم أكملت:

وأنت ترى التلاميذ الصغار يلقون بقايا الخبز فى فناء المدرسة.

قال عاصم: "وهذا شئ غلط".

قالت المديرية، وفى ذهنها صورة "العصابة" التى يقودها عاصم:

ما رأيك أن تقنع مجموعة أصحابك، أن تجمعوا من أرض الفناء "نعمة رينا" التى يلقيها

الصغار من بقايا طعامهم، لكى نقدمها للبط والدجاج الذى نربيه فى حظيرة المدرسة؟"

وامتلاً عاصم بالدهشة، فلأول مرة يجد نفسه فى غرفة المديرية، لا للتحقيق معه، ولا

لجذب أذنه أو ضربه بالعصا، ولا لتسليمه خطاباً لحضور ولى أمره، بل لتكليفه بعمل يقود فيه

مجموعة أصدقائه!

وعندما استوعب عقله معنى كلام المديرية، سأل: وهل هناك وعاء نجمع فيه نعمة رينا؟

هنا أشارت المديرية إلى الصندوق المصنوع من الورق المقوى، الموضوع على رف خلف  
كنفها،

وقالت لعاصم:

أحضر لى هذا الصندوق.

ومرة ثانية امتلأ عاصم بالدهشة، فلم يسبق لأحد فى المدرسة أن وضع ثقته فى عاصم،  
ليحضر له أى شئ من أى مكان!!

كانوا يعرفون أنه عندما يذهب ليحضر أى شئ، لابد أن يخفى شيئاً آخر بجواره، أو  
يفسد شيئاً، أو يحطمه!!

لقد أدرك عاصم، أنه لأول مرة، تضع المديرية ثقته فيها.

\*\*\*

وفى ثبات، تحرك عاصم إلى الرف.

وبطرق عينه، لاحظ أن المديرية لم تلتفت ناحيته، ولم تحاول أبداً أن تراقبه!

وأحضر عاصم الصندوق بسرعة، بغير أن يمس أى شئ من الأشياء الكثيرة الجذابة  
التي كانت تجاوره فوق الرف.



قالت له المديرية:

"الباقى من الفسحة عشرة دقائق، تستطيع خلالها مع أصحابك أن تجمع معظم بقايا الخبز التى ألقى بها زملاؤك فى الفناء".

قال عاصم فى حماس:

قبل أن تنتهى الفسحة، سنكون قد جمعنا كل لقمة.

وأمسك عاصم الصندوق بين يديه وهو يخرج، وقد أحس بشئ جديد يسرى فى كل تفكيره وعقله وإحساسه.

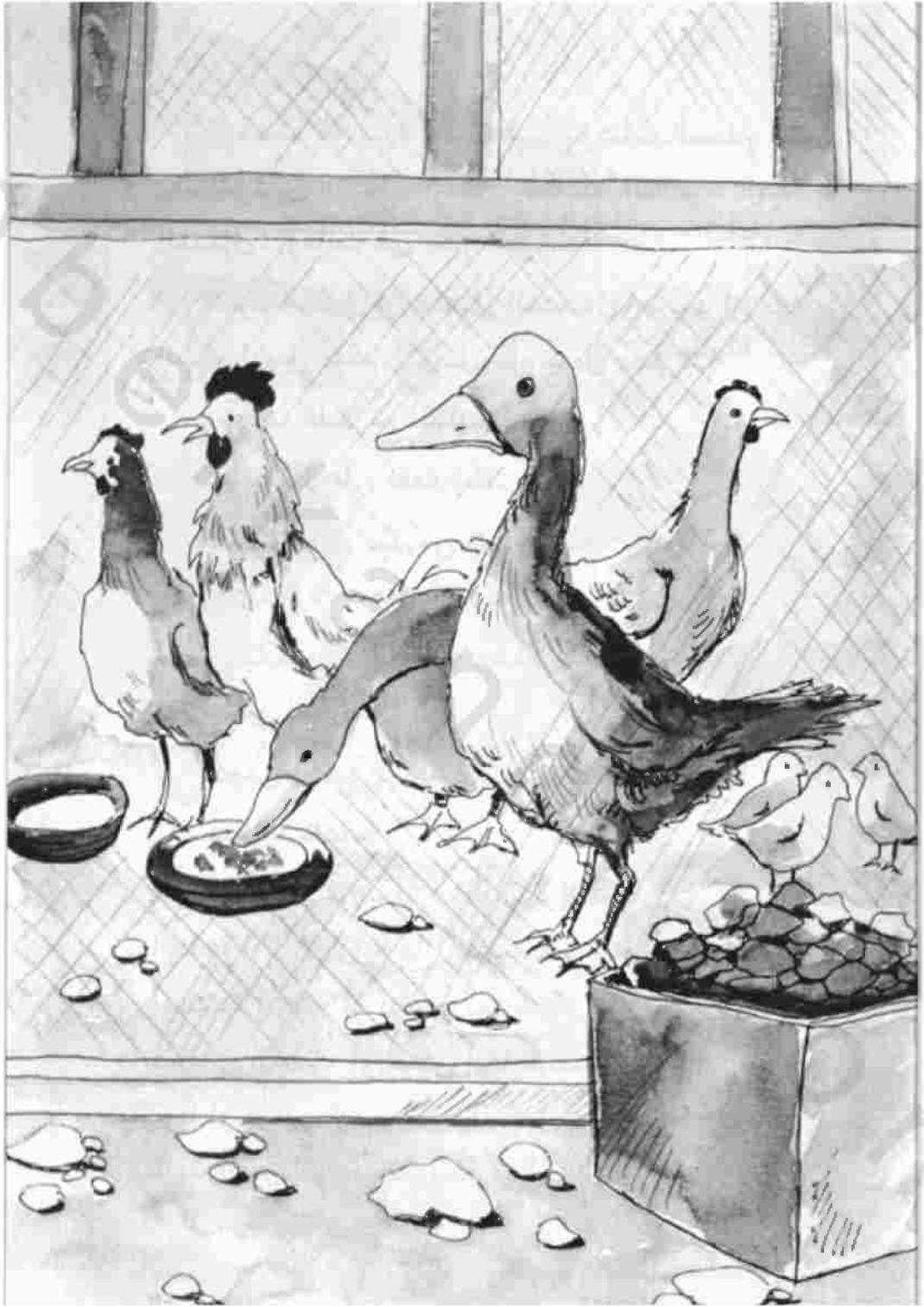
\*\*\*

وقبل أن يدق جرس نهاية الفسحة، كان عاصم يدخل غرفة المديرية، ويقدم إليها الصندوق وقد امتلأ إلى نصفه ببقايا قطع الخبز، وهو يقول:

سيأكل البط والدجاج حتى يشبع، فلم نترك قطعة واحدة على أرض الفناء.

\*\*\*

وبعد لحظات دق جرس نهاية الفسحة، ووقف كل أطفال المدرسة فى طوابير منتظمة، تمهيداً لدخولهم إلى الفصول.



ووقفت المديرية فى أعلى درجات السلم الذى يشرف على الفناء، والذى يصعد التلاميذ ليدخلوا الفصول، وقالت فى مكبر الصوت:

اليوم.. قبل أن ندخل الفصول، نريد أن نقدم الشكر لزميل منكم.. زميل قام بعمل مهم جداً.

وتمهلت قليلاً ثم أكملت:

لقد حافظ على نعمة ربنا

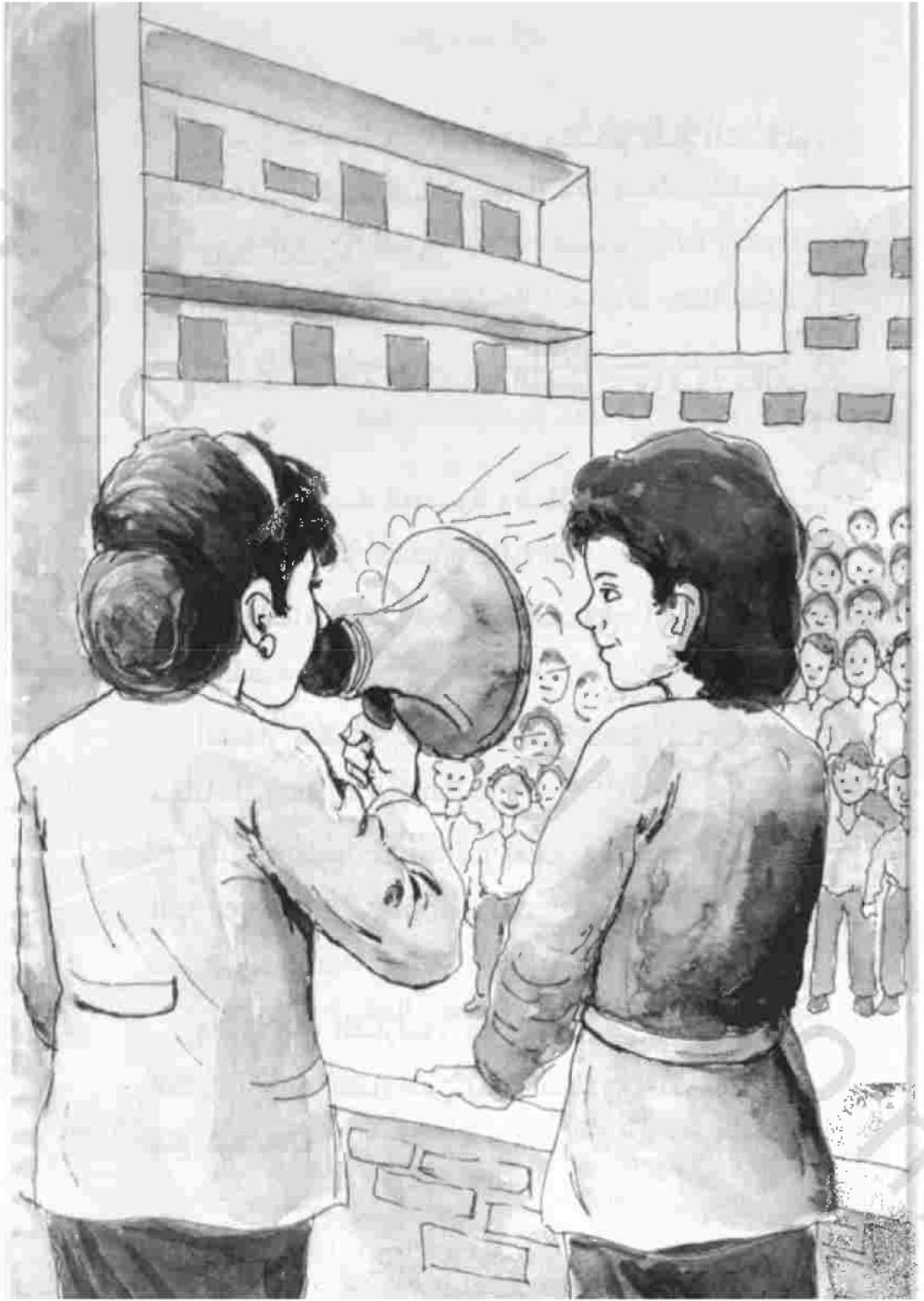
وتلفت كل مدرس إلى زميلته، وكل تلميذ إلى الواقف بجواره، وهم يتساءلون:

من يا ترى هذا الذى سنكرمه المديرية اليوم أمام كل تلميذ المدرسة؟!

وفجئ الجميع بالمديرة تنادى قائلة:

تعال يا عاصم.

وازدادت الدهشة، فالمديرة لا تنادى "عاصم" أمام الطابور، إلا لتعاقبه علناً أمام بقية التلاميذ: تصفعه، أو تشد أذنه، أو تطلب منه فتح يده ليتلقى بعض ضربات العصا، أو لتعلن أنها حرمته من دخول المدرسة يوماً أو يومين بسبب أخطاء كبيرة ارتكبها، فما الذى حدث اليوم لتناديه لكى تكرمه؟!



وخرج عاصم من صفه، وتقدم نحو السلام، وتوقف عند الدرجة السفلى.

قالت المديرية:

اصعد يا عاصم.

وصعد عاصم الدرجات الخمس، ووقف بالقرب من المديرية.

التفتت إليه المديرية وقالت: داخل غرفتي يا عاصم، وأحضر صندوق بقايا الخبز.

وفى أثناء إحضار عاصم للصندوق، أكملت المديرية بقية القصة، وقالت:

الصغار منكم لا يعرفون أهمية نعمة ربنا، فيلقون ببقايا الخبز على أرض الفناء. واليوم

تطوع عاصم مع بعض زملائه، لجمع بقايا الخبز من فوق أرض الفناء، لنقدمها طعاماً

للدواجن فى حظيرة المدرسة.

وأثناء هذه العبارات، كان عاصم قد عاد من غرفة المديرية، وهو يحمل بين يديه صندوق

الكرتون الذى جمع فيه بقايا الخبز.

وأضافت المديرية:

زميلكم عاصم قام اليوم بعمل مهم جدًا، وقد قام به بكل أمانة وهمة، نريد أن نصفق جميعًا لزميلكم الذى قام بهذا العمل.

ورغم الدهشة الشديدة التى أصابت كل التلاميذ وهيئة التدريس، فقد تصاعد التصفيق.

\*\*\*

وتحكى لنا مديرة المدرسة بقية القصة فتقول:

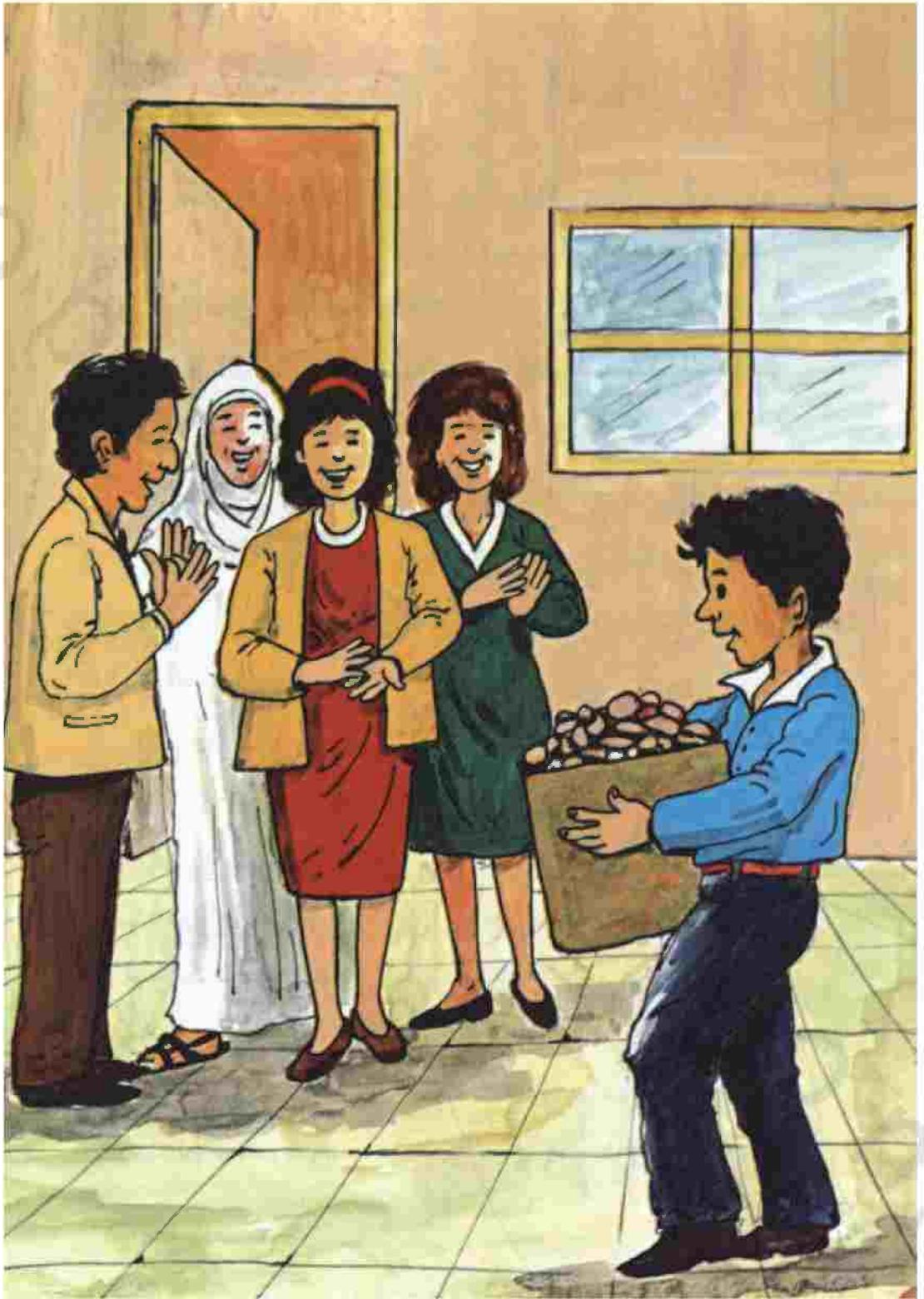
منذ ذلك اليوم، تغير عاصم تمامًا، كأنه ليس نفس الشخصية.

لم يعد عاصم مجرد تلميذ عندى، بل أصبح أكبر مساعد لى فى مواجهة مختلف مشاكل المدرسة.

لقد فوجئت به فى اليوم التالى، فى نهاية فسحة الساعة العاشرة، وبغير أن أطلب منه، يقدم لى صندوقًا مملوءًا بقطع الخبز وهو يقول: لن تشتري المدرسة بعد اليوم طعامًا لدواجن الحظيرة!

وهكذا تكونت فى المدرسة أول جماعة من نوعها "للاهتمام بحظيرة الدواجن" ، وأصبح

من واجبات عاصم



التي ألزم نفسه بها مع أصحابه، إطعام الدواجن كل صباح.

كذلك أصبح هو الذى يقود جماعة الإسعاف، فأصبح صغار الأطفال يبحثون عنه عندما يقع لزميل لهم حادث، ليعاونهم فى نقله إلى العيادة الطبية، أو حتى لإحضاره لى. وفى البداية، فإن أبله شكرية، مدرسة الفصل، قابلت فكرة انضمام عاصم إلى جماعة الإسعاف، بمعارضة شديدة. قالت:

هل تظنين أن من ينجح فى جمع بعض قطع الخبز من أرض الفناء، يمكنه أن يحس بالمسئولية عن سرعة إسعاف طفل مصاب؟ أنا لا أريد متاعب فى جماعة الإسعاف، تنهال بسببها الشكاوى فوق رأسى نتيجة تصرفاته كل يوم!

قالت المديرية: هذا الصبى عنده إمكانيات كبيرة، فى التفكير والتخطيط والتنفيذ وتحمل المسئولية وإذا لم نقدم له الفرصة ليستخدمها، فلا بد أن يجد طريقاً منحرفاً للتفيس عن طاقاته التى نهملها ولا نعتزف بها.



وبعد أيام، أصبحت ليلة شكرية أكثر حماساً من المديرية، لإنضمام عاصم إلى جماعة الإسعاف.

\*\*\*

وتضيف مديرة المدرسة:

ثم أصبح عاصم رئيساً أيضاً لجماعة حماية البيئة، فحصلت المدرسة على الجائزة الأولى فى النظافة والمحافظة على البيئة.

ولم نعد نرى حنفية مفتوحة فى دورة المياه، أو نافذة غير مغلقة بعد وقت الدراسة. كما واطب على المعاونة فى رى أحواض الورد والنباتات.

بل بدأ يقترح أنشطة متعددة، كان من أهمها إنشاء نادى للعلوم فى المدرسة. وأصبح يقضى معظم وقت الراحة بين الحصص الدراسية فى إجراء التجارب، داخل المعمل الصغير الذى أنشأه مدرسو العلوم، فى الغرفة التى كان المفروض أن تكون "مطبخ" المدرسة، والتى استطعنا أن نزودها "بميكروسكوب" و "ميزان

حساس"، ويعدد من الأدوات والمواد اللازمة لإجراء التجارب الكيميائية البسيطة".



وأضافت المديرية: يقول بعض المدرسين، إن "عاصم" قد تغير.

أما أنا فأقول: "نحن الذين تغيرنا".

عاصم فتى متوقد الذكاء، شديد الحيوية، تتدفق من عقله الأفكار الجديدة، وهو قادر على استيعاب المواد الدراسية بسرعة وكفاءة، لكننا كنا نواجه مواهبة وقدراته باتهامه انه مخرب ومقلق وشقى ومهمل ومفسد، لذلك كان يحاول أن يثبت ذاته، حتى إذا كان من نتيجة ذلك أن يتعرض لتأنيبنا وعقابنا، أو يبدو مهملاً في دراسته.

\*\*\*

وتختتم المديرية حكايتها قائلة:

وقد نجح عاصم بتفوق في امتحان الشهادة الإعدادية، وواصل تعليمه، وقد أصبح الآن أستاذًا في كلية الطب، ومن أشهر الأطباء في مصر.  
"لن أنسى" صندوق نعمة ربنا... كان السبب في المصالحة التي حدثت بيني وبين المجتمع.



وكانت المديرية تجيبه: "بل كان النافذة التي استطعنا أن نطل منها على حقيقة شخصيتك وقدراتك المتميزة".